

تفسير البحر المحيط

@ 362 @ إياهم من مصر ، بحيث لم يكن لفرعون ولا لقومه عليهم تسليط بعد هذا الخروج ،

والإنجاء ، ثم فرق البحر بهم وإرائهم عياناً هذا الخارق العظيم ، ثم وعد الله لموسى بمناجاته وذهابه إلى ذلك ، ثم اتخذهم العجل ، ثم العفو عنهم ، ثم إيتاء موسى التوراة . فانظر إلى حسن هذه الفصول التي انتظمت انتظام الدرر في أسلاكها ، والزهر في أفلاكها ، كل فصل منها قد ختم بمناسبة ، وارتقى في ذروة الفصاحة إلى أعلى مناصبه ، وارداً من الله على لسان محمد أمينه لسان من لم يتل من قبل كتاباً ولا خطه بيمينه . .

2 ({ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ زَكَّيْكُمْ طَلَامْتُكُمْ أَنْ نَفْسَكُمُ بَرَاتٌ تَخَازِكُمْ الْعُجْرُ فَتُؤْبَوُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْ نَفْسَكُمُ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَبَّ عَلَى كُفِّهِمْ إِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ تَوَّابُوا الرِّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَزُومِنْ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَطَلَّلْنَا عَلَى كُفِّكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَى كُفِّكُمْ الْإِيمَانَ وَالسَّلَوى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَآكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (2 .

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ * قَوْمِ * إِنْ زَكَّيْكُمْ طَلَامْتُكُمْ أَنْ نَفْسَكُمُ بَرَاتٌ تَخَازِكُمْ الْعُجْرُ فَتُؤْبَوُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْ نَفْسَكُمُ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَبَّ عَلَى كُفِّهِمْ إِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ تَوَّابُوا الرِّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَزُومِنْ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَطَلَّلْنَا عَلَى كُفِّكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَى كُفِّكُمْ الْإِيمَانَ وَالسَّلَوى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَآكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } . . .

القوم : اسم جمع لا واحد له من لفظه ، وإنما واحده امرؤ ، وقياسه أن لا يجمع ، وشذ جمعه ، قالوا : أقوام ، وجمع جمعه قالوا : أقاويم فقليل يختص بالرجال . قال تعالى : { لَآ يَسْخَرُونَ قَوْمُكُمْ مِنْ قَوْمٍ } ، ولذلك قابله بقوله : { وَلَآ نَسَاءُكُمْ مِنْ نِسَاءِكُمْ } .

وقال زهير : .

أقوم آل حصن أم نساء .

وقال آخر : % (قومي هم قتلوا أميم أخي % .

فإذا رميت يصيبني سهمي .

. %)

وقال آخر : % (لا يبعدن قومي الذين هم % .

سم العداة وآفة الجزر .

. %)

وقيل : لا يختص بالرجال بل ينطلق على الرجال والنساء : { إِرْزَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا

إِلَى قَوْمِهِ * فِيهَا بَغْدِيرٌ حَسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي } . كان كل نبي يبعث

إلى قومه خاصة ، قال هذا القائل : أما إذا قامت قرينة على التخصيص فيبطل العموم ويكون

المراد ذلك الشيء المخصص . والقول الأول أصوب ، ويكون اندراج النساء في القوم على سبيل

الاستتباع وتغليب الرجال ، والمجاز خير من الاشتراك . وسمي الرجال قوماً لأنهم يقومون

بالأمور . البارء : الخالق ، برأ يبرأ : خلق ، وفي الجمع بين الخالق والبارء في قوله

: { هُوَ اللَّاهُ الْخَالِقُ الْبَارِءُ الْمُصَوِّرُ } ، ما يدل على التباين ، إلا أن

حمل على التوكيد . وقد فرق بعض الناس بينهما ، فقال : البارء هو المبدع المحدث ،

والخالق هو المقدر الناقل من حال إلى حال . وقال